

مطربة الأغنية الراقية وقيثارة الإحساس الشرقي ذات النبع الرقراق

ميادة بسيليس سيدة الأغنية السورية .. وداعاً

وائل العدس

صوت دافئ ورفيق وحنون، يتوسد عرش قلبك مع أول تنهيدة تتراقص فيها الحبال الصوتية بعفوية، عذوبة صوتها يجعلك تبجر نحو الأفق البعيد، بحجم امتداد السماء، ويتعش ذاكرتك العتيقة نحو حياة خالية من الضجيج.

مطربة الأغنية الراقية، قيثارة الإحساس الشرقي ذات النبع الرقراق والصوت الشجي واللحن الذي يُعيدك إلى سنين خلت.

وعلى الرغم من أنها لا تحب الألقاب وأنها ترى اسمها وحده هو اللقب، فقد لقبها محبوها بـ«سيدة الأغنية السورية»، رغم وجود فنانات سوريات يفقنها شهرة، إلا أنها تميزت عنهن بأن نتاجها من الأغنيات كان صناعة سورية من الكلمات إلى اللحن والتوزيع.

تميزت بالحفاظ على وقار الفنان، ولم تلجأ ذات يوم لتصوير كليبات غنائية مثيرة طمعاً بالشهرة والانتشار.

خلال الأيام الماضية، ألقى الحزن بظلاله الكثيرة على الوسط الفني والشعبي في سورية والوطن العربي بعد رحيل الفنانة الكبيرة ميادة بسيليس صاحبة المهابة الاستثنائية، حيث فارقت الحياة بعد صراع طويل مع مرض السرطان عن عمر ٥٤ عاماً، وتم تشييع جثمانها من كاتدرائية أم المعونات للأمن الكاثوليك إلى ماثاها الأخير بحضور حشد من محبي الفنانة وزملائها الفنانين، حيث غصت الكنيسة بحشود المشيعين وامتألت جوانب الشوارع التي سار فيها موكب الفقيده لإلقاء تحية الوداع للراحلة التي تركت كوكبة كبيرة من الأعمال الراقية ورصيماً كبيراً من الأغاني المميزة لحناً وكلمة وصوتاً وإحساساً.

رغدة: يا وجعي في كل جهاتي يتهدد... يا يماهتي فقدك ليس كأني فقد

نشاتها ومشوارها

ولدت ميادة بسيليس في حلب عام ١٩٦٧، بدأت مشوارها الغنائي في سن التاسعة حيث غنت في المدرسة من خلال مهرجانات طلائع البعث وعبر إذاعة حلب وكان لها برنامج على أثيرها موجه للأطفال إضافة إلى مشاركتها بفعاليات كنسية. هذه المشاركات العديدة ساعدت الراحلة كما تحدثت على تهذيب النفس والروح إضافة إلى تكوين الشخصية المتزمنة ولكنها من جهة أخرى جعلتها تخشى الانطلاق والانفتاح على العالم الخارجي.

وفي عمر ١١ عاماً، قدمت أول بريرت «ملكة القطن والشمس»، ونالت كأس أجمل صوت في مهرجان الطلائع، ثم شاركت في مهرجان بغداد لغناء الناشئين، وحصلت على جائزتي أجمل صوت وأجمل أداء.

تنتمي إلى بيئة محافظة وقبل احترافها الغناء كانت ترتل في الكنيسة، قبل أن تصبح مطربة على مسرح حقيقي يحترم المستمع، فقد كانت في حلب ومنذ صغرهما تشارك بكل التراتيل وفي كل المناسبات، لإيمانها بأن الترتيم غذاء للروح ويجعل الإنسان يشعر بمعاني الأشياء العظيمة الموجودة، من خلال الكتب السماوية، التي عندما ترتبها تشعر بقيمتها.

لذلك منذ صغرهما وهي ترتم في الكنيسة، وكانت لا تحضر قداساً إلا وترتم فيه، وبعدها تزوجت وأصبحت فنانة، وفي جعبتها الفنية العديد من الترانيم الدينية للتعزاة وللسيد المسيح، كما أنت ترانيل للراحل وبع الصافي بصوتها العذب.

ويحمل رصيد بسيليس ٩ ألبومات، هي «خلقت جميلة، بقلبي في حكي، حنين، يا غالي، أجراس بيت لحم، عادي، إلى أمي وأرضي، أنت بقلبي، أمانا»، وتعاملت مع زوجها الموسيقار سمير كويقاتي، ومع الملحنين فحفي الجراح ونوري إسكندر.

كما صورت العديد من الأغاني على طريقة الفيديو كليب، منها «كذبك حلو، هوى تاني، لحن دائماً أهواك، لحظة، بيتي وبيتك، عاش الولد، باقين، حنين، شوقوا بلدي، بقلبي في حكي».

وتعتبر أغنية «كذبك حلو» نقلة نوعية، بعد أن حققت نجاحاً كبيراً وانتشرت بشكل كبير في سورية والشرق الأوسط، فكانت بمنزلة جواز سفر نحو عالم الشهرة. كما أنها حققت نجاحات أخرى بأغنياتها حقلها الجمهور، منها «يا طيوب» و«يا غالي» و«عادي» و«خليتي على قدي».

ووضعت صوتها على شارات الكثير من المسلسلات السورية، منها «أيام الغضب، إخوة التراب، نساء صغيرات، حنين، جواد الليل، أبناء القهر، قبل الغروب، رجاما، رصيف الذاكرة، بنات العيلة، أيام لا تنسى، حرائر، روزنا، حارس القدس، هوى بحري».

أحيت الكثير من الحفلات في سورية ولبنان ومصر وتونس وأوروبا والولايات المتحدة الأميركية، ولعل أبرزها حفلها في مجمع قصر الفنون الجميلة في سان فرانسيسكو. شاركت في حفل افتتاح الفضائية السورية عام ١٩٩٥، وشاركت في العام نفسه في مهرجان الأغنية السورية الثاني.

وكان لها حضور قوي في افتتاح واختتام مهرجان دمشق السينمائي عام ٢٠٠٨، وفي احتفالية دمشق عاصمة للثقافة العربية في العام نفسه.

وفي عام ١٩٩٨ ساهمت في تقديم الليلة السورية في دار الأوبرا المصرية بالقاهرة، كما أحييت حفل افتتاح مهرجان الموسيقى العربية في دمشق عام ٢٠١٥، وغنت في حفلات معرض دمشق الدولي.

ولأن الفن رسالة، لم تتكف بسيليس بأغاني الحب وشده العزيمة والتغاول والفرح، بل غنت للوطن والعروبة والقضية الفلسطينية ومثال ذلك أغنيات «يا جبل ما يهزك ريح» «شوقوا بلدي» و«أجراس بيت لحم» و«أرضي يا أمي» و«بيلبلك يا شام».

جوائز وتكريمات

نالت بسيليس الكثير من الجوائز والتكريمات في سورية وخارجها، منها الأورنيان الذهبية لأربع مرات، وفي مهرجان الأغنية السورية السادس نالت أغنياتها «خليتي على قدي» جائزة أفضل لحن حديث في مهرجان الأغنية السورية السابع.

ونالت الجائزة الأولى في مهرجان الموسيقى العربية في الدار البيضاء عن أغنية «يا رجائي»، والجائزة الذهبية كأفضل أغنية مصورة في مهرجان البحرين عن أغنياتها «هوى تاني».

وحازت الجائزة الذهبية عن أغنياتها «كذبك حلو» في مهرجان القاهرة.

كما كرمتها جمعية «تموز» لدعم أسر الشهداء بعد إحيائها حفلاً غنائياً، كتحية للشهداء وأسره، في دار الأسد للثقافة والفنون، عقب عرض فيلم «وعد شرف»، وقد كان لبسيليس أغنية الشهيد التي ختم بها الفيلم وهي من كلمات أيمن زيدان والحنان سمير كويقاتي.

ثاني ميمز

تزوجت في عمر ٢٠ من الموسيقار السوري سمير كويقاتي، وكانت تراه الأَخ والصديق والحبيب، وأنه لولاها لما سمع أحد باسمها.

شكل الاثنان ثنائياً مميزاً ونجاحاً مبنياً على المحبة والعمل الناجح وكان السبب في نجاحهما أسرياً وحياتياً أنهما لم يفضلوا الفن على حياتهما الخاصة.

في أحد الحوارات مع «الوطن»، قال كويقاتي لميادة: «الفن لم يشكّل لنا هاجساً مثل عاصي وفيروز حيث كان الفن أقوى من حياتهما أما نحن فحياتنا أقوى من الفن وتهمنا أكثر، أقول لها: إن سبب الاستمرارية بيننا هو القناعة وكما تقول ميادة «اللي يقنع يعيش».

والحب يموت إذا لم يجدد لذلك من الضروري أن ترى بي شيئاً جديداً حتى يبقى هذا الحب لأن الروتين يقتل أي علاقة، وأقول لها أتمنى أن يكون مشروعنا الذي صنعناه صحيحاً مع كل خياراتنا وقناعاتنا».

ميادة ووجع الأصدقاء

محمد خير الجراح: «الأيقونة السورية، قمر حلب وفخرها، مؤلم وموجع ومفجع رحيلك».

كندا حنا: الروح النقية والصوت الجميل، رحيلك أوجعنا بس صوتك باق معنا».

سوسن ميخائيل: «الله يرحمك يا غالية، أنت بمكان أفضل وأجمل، الله معك حبيبتنا».

عبير شمس الدين: «سبيقي صوتك وروحك الطاهرة في قلوبنا، الله يرحمك صديقتي النبيلة، رحيلك موجع».

ريم عبد العزيز: «ما في شي مستاهل ما في شي حرزان، الله معك يا ميادة أيتها الغالية العزيزة، بكرتي كثير بس هي مشيئة الرب».

جهان عبد العظيم: «الله يرحم روحك، أبداً ما حلوة هالكذبة أبداً، يا رب امتأنا وجع».

رويدا عطية: «ما يعرف شو احكي معك، كنت ناظرتك ترجعي أقوى، ونسمع أغاني بتشبهنا وبتشبه إيماننا اللي راحت، وما بظن ترجع، بس عليك هالمرض وغلبنا، الله معك يا غالي».

ناصر زيتون: «خبر محزن ومؤلم وخسارة للفن الراقي الحقيقي ميادة بسيليس الفنانة السورية الحلوة الكبيرة... رائعة الصوت والحضور».

نور شيشكلي: «رحلت من أقتننا أن الكذب قد يكون حلواً، رحلت من واجهتنا منذ زمن طويل بحقيقة أننا أبناء القهر، ليت رحيلك كان كذبة، رحلت حلوة الحلوات، وداعاً يا حنجره غنت لي من طفولتي وحتى اليوم».

لطيفة التونسية: «رحم الله الفنانة السورية الكبيرة المييزة المحترمة».

طوبوك سمير، ع غيايك يا فيروز حلب كسرتينا تكسير».

شكران مرتجي: «غالبتي ليت الخير كذب، غالبتي ارقدي بسلام، أن الألوان أن ترتاحي، ميادة بسيليس.. سلمي حزينة من سيغنيها والطيون زاد يؤسهم والروزنا يتيممة ولا فسحة على موج البحر هذا الصيف، رح دائماً نهورك، خليتنا لحننا وصرا بلا رفيق، وناتالي

أيمن زيدان: «أيقونة مبدعة.. صديقة درب من الحلم والطموح، هذه المرة لم تكن كذبة الحياة حلوة، كم أوجعني رحيلك يا ميادة، خسارتك كبيرة في زمن ما أوجه لإبداعك، تهزمني الكلمات وأنا أشيع قطعة من القلب».

سلاف فواخرجي: «حجرة من حجارة قلعة حلب وقعت، وعند كل سوري فينا في غصة ودمعة نزلت، شققة من القلب أنت، شي يشبه الجودان أنت، شجرة غرانة بالأرض ومفرعة بالسما أنت، أم بنت وأخت ومثل كل شي حلو أنت، الله معك يا ميادة يا حبيبة».

سوزان نجم الدين: «ذهبت إلى سماء تستوعب صوتك الملائكي، فنامي قريرة العين أيتها الحبيبة، سبيقي صدى صوتك يسكننا في أحرزنا وأفراحننا».

أمل عرفة: «الفنانة الكبيرة فناً وخلقاً ميادة بسيليس وعدتنا اليوم، عزائي الخالص لعائلتها ومحبيها ورفيق دربها المايسترو سمير كويقاتي».

باسم ياخور: «لم تعد الكذبات في حياتنا حلوة دون صوتك الدافئ، كم هو محزن خبر رحيلك أيتها الغرانة الممتلئة بالأحاسيس والجمال».

هاشل رمضان: «قتلي بقلبك حكي... وفليتي بكبر، رحتي ع أبعد دنني... وتركتي المشاوير، صدقنا كذبك الجلو وبحلاكي ما بيصير، تلجك دفاناً بالتمتع... تا نسيتنا التعتير، غنيتي أوف وفرح... مع فادي صبيح: «وداعاً لصوت باقي في القلوب والعقول».

مصطفى الخاني: «كم نحن بحاجة أشخاص نبلاء مثلك، يتمتعون بكل تلك الأخلاق العالية مع كل هذا الفن الراقي».

ديمة قنديل: «وداعاً أيتها الصلبة الرقيقة، اليأسمة الحزينة، شكراً على كل ما قدمته لنا وللفن السوري أيتها الغائبة الحاضرة».

فادي صبيح: «وداعاً لصوت باقي في القلوب والعقول».



شكيات مع زوجها ثنائياً مميزاً ونجاحاً مبنياً على المحبة والعمل الناجح

أيمن زيدان: صديقة الدرب.. لم تكن كذبة الحياة حلوة.. هزمتني الكلمات